

الفصل الخامس

أهم الاتجاهات الوالدية الخاطئة التي تؤدي إلى تدهور الصحة النفسية للأطفال



• أولاً : اتجاه فرط الحماية :

ماهيته .. وأسبابه :

اتجاه الحماية الزائدة أو فرط الحماية Attitude Of Parental Over Protection يتمثل في أن الأب أو الأم قد يقوم نيابة عن الطفل بالمسؤوليات أو الواجبات التي يمكنه أن يقوم بها ، والتي يجب تدريبه عليها إذا أردنا أن تكون له شخصية قوية استقلالية . وهذا السلوك لا يتيح للطفل فرصة أن يتخذ القرارات بنفسه ، فالأب مثلاً يتحمل مسؤولية الدفاع عن الطفل إذا تشاجر مع أحد زملائه أو أقرانه في المدرسة أو النادي ، دون أن يترك للطفل فرصة لتسوية حساباته بنفسه .

أمّا عن أسباب الحماية المفرطة فقد ترجع إلى رغبة الأمّ - على غير وعى منها - في إبقاء الطفل معتمداً اعتماداً كاملاً ودائماً عليها ، فهي التي تطعمه ، وهي التي تلبسه ثيابه ، وهي التي تساعد في قضاء حاجته وتنظيف جسده ، وبذلك يبقى الطفل غير مكتمل النضج ، وغير قادر على الاندماج مع الأطفال الآخرين بسهولة . والطفل الصغير المحاصر بهذه المشاعر كثيراً ما يظهر غضبة تجاه أمه لأنها لم تمنحه الاستقلال والحرية .

وقد تظهر فرط الحماية أيضاً عندما تكون الأم قد مرّت بحياة غير سعيدة ، فتبدل جهدها لتحصل من الطفل على أكبر قدر ممكن من الحبّ.

نماذج من فرط الحماية :

يظهر اتجاه فرط الحماية المفرطة بصفة خاصة إذا كان والد الطفل قد توفي، أو إذا جاء الطفل بعد انتظار طويل ، أو إذا كان من جنس مطلوب أو مرغوب (ذكراً مثلاً) وكان مولده بعد مولد كثير من الأطفال من الجنس الآخر (الإناث) ، أو لأنه الطفل الأول للأسرة وينقص الأب أو الأم الخبرة الكافية لتربيته ، أو لأن الأم عانت كثيراً حتى أنجبته أو لأنه طفل ضعيف الصحة وكثير المرض ، ومثل هذه الأسرة لخوفها الشديد على هذا الطفل من



أي سوء ، تريد أن يأكل ما لا يحبه لأنه سيقويه ، أو يأكل بكميات كبيرة من الطعام أكثر ممَّا يحتاج ، أو يرتدى أكثر ممَّا يحتمل من الثياب حتى لا يصاب بنزلات البرد، وتريده الأَّجْرِي أو يلعب بشكل معيَّن حتى لا يقع أو يُصاب بأذى ، وعندما يذهب إلى المدرسة غالباً ترافقه الأم مهما كان عُمره، وأينما كان موقع المدرسة بالنسبة للبيت ، وحينما يعود الطفل إلى المنزل تكتب له واجباته المدرسية حتى تُجنبه التعب والإرهاق ، أو تقرأ له دروسه حتى لا تتعب عينيه، وتُدافع عنه عند مُعلِّمه أو مُعلِّمته حتى لو كان هو على خطأ .. وهكذا .

مظاهر فرط الحماية :

تظهر الحماية المفرطة في أشكال متعدّدة : فقد لا تسمح الأم لطفلها بالخروج في نزهة ما خوفاً من تعرُّضه للحوادث ، أو من أن يلعب مع الآخرين حتى لا يكتسب سلبياتهم أو أساليبهم المعينة غير المرغوب فيها . وهي الأم التي تمنع طفلها من اللعب في المنزل على هواه ، ونراها تتدخل باستمرار لمساعدته أثناء لعبه ، وهي التي تُشجعه على ترديد أو استخدام كلمات الأطفال الصغار ، بل تدلُّه كالصغار عندما يكون قد أصبح صبياً كبيراً .

كما أن الأم هي التي تتبنى عدم إعطائه الفرصة للتصرُّف في شئون كثيرة تهتم حياتها : كمصروفه الشخصي ، أو انتقاء ملابسه ، أو اختيار الأطعمة التي يُفضلها ، وهي التي تدافع عنه إذا ما اعتدى على زميل له في المدرسة أو النادي، بل تتحمَّل هي نفسها نياحه عنه كل هذه الأمور حيث تُحدِّد له جهة إنفاق نقوده ، وانتقاء ملابسه ، دون إشراك له في هذه الأمور التي تُعتبر من أموره الخاصة ، فهي تختار له أصدقاءه وتقرضهم عليه .

ومن المظاهر الأخرى للإفراط في الرعاية حيث يوجد من الآباء من يساوره القلق لدرجة الفزع حول سلامة أبنائه من الخطر أو المرض ، فيفرض نظاماً غذائياً مُعيَّناً من الطعام عليهم خوفاً على صحتهم ، ويُسرف على لعبهم حتى في المنزل وسط رفاقهم ، ويتابع كل حركات أطفاله وسكناتهم خوفاً من تعرُّضهم للخطر ، إلى غير ذلك من مظاهر الإفراط في الرعاية .

وهناك مظاهر أخرى لفرط الحماية تُلازم الطفل حينما يكبر ويصبح شاباً ، فقد نرى بعض الآباء يذهب مع أبنه أول يوم لاستلامه العمل بعد تخرجه من الجامعة ، ثم في مثل هذه الحالة نرى الأم تختار لهذا الشاب شريكة حياته ، وحتى بعد زواجه تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياته ممَّا يُهدِّد حياته واستقراره مع شريكة حياته ، لقد نسى

هؤلاء الآباء والأمهات مُبدأً مهمًّا من مبادئ التربية السوية ألا وهو مبدأ "القطام النفسي" الذي يعنى الاستقلال الوجدانى عن الآخرين ، وأن تتحوَّل المشاعر أو العواطف بينهم وبين والديهم - وخاصَّة الأم - من حالة الاندماج الوجدانى أو الذويان العاطفي إلى حاجة القطام الوجدانى أو العاطفي ، والاستقلال عن الأسرة مع استمرار علاقة الحب المتبادلة بدرجة معقولة ومتوازية لا سيطرة فيها ولا خضوع .

وكثيرًا ما نرى أن بعض الآباء أو الأمهات - كما أوضحنا - يستمرون في التعلُّق الشديد بأولادهم حتى حينما يكبرون ويتزوجون ، عندها نقول أن هؤلاء الآباء والأمهات لا يستطيعون الارتفاع إلى مستوى القطام النفسي ، لتظل الحالة الاندماجية قائمة ومستمرة حتى بعد زواج الأبناء واستقلالهم . إنَّ التعلُّق الوجدانى الشديد بالأبناء يُعيقهم عن استقلالهم الذهني أو الإرادي ، فلا يستطيعون أن يكون لهم آراء مستقلة ، أو تتبلور لهم عواطف وأحاسيس مستقلة وقائمة بذاتها . لذلك .. فإنَّ من واجب الآباء والأمهات أن يعاملوا أبناءهم في ضوء الخصائص النفسية التي تتسم بها كل مرحلة من مراحل نموهم . ونونه بأنَّه حينما يكون التعلُّق بالأبناء شديدًا في بداية نموهم ، فإن هذا التعلُّق يجب أن يُخفف كلما نما الطفل وكبر ، وانتقل إلى مرحلة عُمرية جديدة ، على أن يؤمن الوالدان أنَّ التعلُّق الشديد بأبنائهم لا يدل على الحبِّ ، فالحبِّ ليس أنانية واستثناءً وامتناعًا ، فلنعطهم الزاد النفسى الذى يُعينهم على الحياة ولكن بلا أنانية .

الآثار السلبية لفرط الحماية :

الطفل الذى يعيش ويتفاعل مع أسلوب الحماية المفرطة ينمو بشخصية ضعيفة ، خائفة ، غير مستقلة ، تعتمد على الغير في قيادتها وتوجيهها ، وغالبًا ما يسهل استئثارها واستمالتها للفساد حتى ضدَّ الوطن عن طريق الجاسوسية نتيجة ضعفها وعدم تقديرها للمسئولية . وهى شخصية سرعان ما تصطدم بالواقع والقوانين بعد فوات الفرصة . وهذه الشخصية تتسم أيضًا بانخفاض مستوى قوة (الأنا) ، وانخفاض الطموح وتقبُّل الإحباط ، وتظهر على صاحبها الكثير من استجابات الانسحاب وفقدان التحكم الانفعالي . كما يبدو على هذه الشخصية الخوف من تحمُّل المسئولية ، هذا بالإضافة إلى عدم الثقة في قراراتها ، وما أسهل تأثرها بالجماعة التي تنتمي إليها فتعتمد على الآخرين اعتمادًا كبيرًا ومثل هذه الشخصية غالبًا ما تكون حساسة بشكل مُفرط للنقد .

هذا ، وقد يتداخل هذا الاتجاه - أحياناً - مع اتجاه التسلُّط ، لأنَّ الطفل قد لا يكون راضياً في كل مرة عن مثل هذا التدخل في شئونه ، فعندما يقف الطفل مُعارضاً في بعض الأحيان أو يتمنى أن يقوم بنفسه بهذه الأمور الشخصية عندئذٍ يضطر الأبوان أصحاب اتجاه الحماية الزائدة إلى فرض رأيهما عليه ، وهنا لا نجد حدًّا فاصلاً بين الحماية الزائدة والتسلُّط ، ففي الوقت الذي يتحتم أن يكون فيه موقف الأبوين عند ممارسة حمايتهما الزائدة مُعارضاً لرغبة الطفل في التحرُّر والاستقلال يمكن أن نتحدث عن الحماية الزائدة والتسلُّط معاً .

ومن المعروف أيضاً أن هؤلاء الأطفال ينزعون إلى التمرد على هذه الحماية المُفرطة بمجرد أن يستطيعوا الإفلات من المنزل ، وهم معرضون للحوادث أكثر من غيرهم من الأطفال .

أهم الحلول المطروحة :

- يمكن أن نشبع دائماً حاجة الطفل للحُبِّ عن طريق إحساسه بأنَّه موضع الاهتمام والعطف والرعاية ، بشرط ألا نبالغ في إبراز المشاعر ، حتى يمكن أن يتحقق العائد النفسي من إشباع حاجته إلى الحُبِّ والحنان .
- لا ينبغي أن نقوم نيابة عن الطفل بإنجاز بعض أعماله بحجة الاقتصاد في الوقت أو الجهد ، لأنَّ ذلك سوف يحرمه من لذة الاكتشاف والتجريب واكتساب الخبرة ، على أنه إذا أصاب نجاحاً في أعماله التي نراها نحن صغيرة ، ويراهها هو كبيرة ، نال منا الغبطة ولقى الثناء والاستحسان ، وإذا أصاب فشلاً لمس منا الهدوء والتشجيع على أن يُعيد المحاولة من جديد ، فإنَّه بهذا سوف يزداد اطمئناناً إلى العالم من حوله ، ويشعر بالثقة في نفسه من غير خيلاء أو زهو ، فينشأ قادراً على مواجهة التحديات في فهم وعزم ، بعيداً عن أن يغره النجاح أو يقعده الفشل .
- أن يُشجع الآباء والأمهات أبناءهم على تحمُّل المسؤولية منذ صغرهم ، وهذا يستلزم أن تكون المسؤوليات الملقاة على عاتقهم متناسبة وأعمارهم الزمنية والعقلية ، وتتفق مع ميولهم وتطلعاتهم ، وأن تتسم بالتدرُّج ، وخاضعة لإشراف الأبوين إشرافاً دقيقاً وتربوياً في الوقت نفسه ، على أن يُمنح الأبناء الثناء والمدح متى نجحوا في أداء مهامهم ، وأن يُشجعوا ببث الثقة في نفوسهم من جديد متى أخفقوا .

• ثانيًا : اتجاه التساهل والإهمال :

ماهيته .. وأسبابه :

يُعاني بعض الآباء في مطلع حياتهم من الأساليب اللاتربوية التي كانوا يعاملون بها في أسرهم ، من ظلم واستبداد وقسوة إلى حد البطش والتنكيل بهم ، الأمر الذي يؤلمهم فيكبتونه كخبرة من الخبرات السيئة ، عندها يتشكك هؤلاء الآباء في قيمة النظام والسلطة ، فيتركون أطفالهم يفعلون ما شاءوا بلا ضابط أو رابط ، فيؤدى ذلك إلى تنشئة أطفال لا يحفلون ألبتة بمراعاة القواعد والأصول سواء داخل المنزل أو خارجه .

واتجاه الإهمال Attitude Of Negligence يتمثل في ترك الطفل دون تشجيع من والديه - خاصة الأب - على أى سلوك مرغوب فيه أتى به ، أو دون محاسبة على أى سلوك غير مرغوب فيه قام به ، هذا بالإضافة إل تركه دون توجيه إلى ما يجب أن يفعله من سلوكيات ، أو ما لا يفعله .

على أنه يمكننا بلورة الأسباب التي تؤدي إلى اتجاه التساهل والإهمال في الأب الذي يعاني من مشكلات وضغوط خارجية عديدة ، ممًا يحمله عبئًا قد ينوء به كاهله ، عندما لا يحفل بأطفاله ويهملمهم ، ويتركهم بلا توجيه أو رعاية ، لأنّ الهم يُحاصره من كل جانب ، وأحيانًا أخرى تسوء العلاقة بين الزوج وزوجته ، فيترتب على ذلك إهماله لأطفاله حتى يُحملها مسئولية التربية الكاملة، دون رغبة منه في معاونتها ، قاصدًا أن تفشل في أداء واجباتها كي تكون هناك ذريعة للهجوم عليها أو التنكيل بها .

وأيضًا ينتج هذا الاتجاه ربما لعدم رغبة الأم في الأبناء ، حيث تشعر أن مجيئهم كان غير مرغوب فيه لأي سبب في نفسها ، وربما لوجود أم مهملة لا تعرف واجباتها فتقتضي يومها تتحدث في الهاتف (التليفون) مع صديقتها ، أو في مجالسة جاراتها أمام التلفاز (التلفزيون) .. إلخ . وبذلك فهي دئمًا في انشغال عن أبنائها والعمل في المساعدة على إشباع حاجاتهم الجسمية أو العقلية أو النفسية .

مظاهر التساهل والإهمال :

يكون التساهل والإهمال في شكل عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه ، بينما ينجح الطفل في المدرسة ويحصل على درجات مرتفعة ، ويحتل مكان متقدمة بين أقرانه ، يأتي إلى البيت فرحًا ليطلع والده على نتيجة عمله فلا يجد - للأسف - إلا هزة من رأسه لا

تعنى شيئاً ، عندها يُصدم الطفل صدمة شديدة ويخيب أمه في أيه ، ومن ثم يُصاب بالإحباط ، فلا يجد من الاستدكار الجاد أية فائدة تذكر في ظل أسرة لا تقدر قيمة الثواب والتشجيع والتحفيز ، فإذا كنا نحن الكبار نحتاج إلى التشجيع والإثابة أو الحاجة إلى النجاح والتفوق .. فما بالنا بالأطفال الصغار .

وقد يأخذ الإهمال صورة اللامبالاة ، فحين يبكي الطفل الرضيع من الجوع أو طلباً للنظافة فتتركه الأم ولا تستجيب لبيكائه . وإذا ما كان الطفل يتحرك ويتكلم ويتلف بعض الأشياء تتركه دون ضوابط لتعديل سلوكه .

وإذا ما طلب الصغير الطعام تتركه يُعده لنفسه في سن لا تسمح له بذلك ، وإذا ما كان في عُمر المدرسة وعاد منها ليطلب مساعدتها أو مشورتها في عمل واجبه المدرسي تصرخ الأم في وجهه دون أى توجيه منها ، وإذا ما جرح الطفل أثناء لعبه غير الموجه تُعاقبه الأم بالتأنيب وتتهمه بالقصور والإهمال .. وهكذا .

وهناك صورة أخرى من مظاهر الإهمال وعدم الاكتراث بالأبناء تتمثل في السخرية من الطفل بدلاً من التشجيع ، فعندما يُقدم الطفل لأبيه على سبيل المثال لوحة فنية قام برسمها ، أو لعبة تعب في إعدادها فينهره الأب أو يسخر منه ومن لوحه أو لعبته ، ويتكرر هذا الأسلوب .

أما إذا حصل الطفل على درجات متوسطة في امتحان من الامتحانات فلا يقوم الأب أو الأبوين أو أحدهما بتشجيعه ومؤازرته ورعايته إلى أن يصل لمستوى أفضل في الامتحان المقبل ، بل نجد الأبوين أو أحدهما ينهره على إهماله ويؤنبه ويوبخه مُعيراً إياه بمن حصل على الدرجات النهائية من زملائه أو أصدقائه متناسياً مبدأ "الفروق الفردية" Individual Difference ، ضارباً عرض الحائط بمبدأ الإثابة في مدى تقدم الطفل وتعلمه .

وهذا يحرم الطفل من حاجته إلى الإحساس بالنجاح والتقدير ، والتمتع بلذة النجاح مهما كان قدره ، طالما أن هذا النجاح مناسب لقدراته الحقيقية .

وننوه بأن الإهمال المتكرر قد يُفقد الطفل الإحساس بمكانته داخل أسرته ، ويفقد الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم .

الآثار السلبية لاتباع التساهل والإهمال :

غالباً ما يترتب على الإهمال نتائج من الشخصيات القلقة المترددة ، التي تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة واضحة . والطفل الذي يُعاني من أسلوب الإهمال الوالدي نراه غالباً ما يحاول أن ينضم إلى جماعة أو "شلة" يجد فيها مكانته ويحس بنجاحه فيها ، ويجد فيها العطاء والحبّ الذي حُرِم منه نتيجة إهماله منذ كان صغيراً ، خصوصاً وأن الجماعة التي ينتمي إليها غالباً ما تشجعه على كل ما يقوم به من أعمال حتى وإن كانت أعمالاً تخريبية ، خارقة عن القانون لا وذلك لأنه لم يعرف منذ صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته ، بين الصواب والخطأ في سلوكه وتصرفاته ، بالإضافة إلى أنه لم يشعر بالحبّ والانتماء والتشجيع على إنجازاته التي تتناسب وقدراته ، وبالتالي يصبح - في الغالب - من الشخصيات المتسيبة غير المنضبطة في أي عمل يقوم به . فلا يحترم حقوق الغير ، بل يصبح فاقداً للحساسية الاجتماعية التي افتقدها في أسرته فيسهل عليه الاعتداء ، ومخالفة القوانين والنظم التي يجب أن تحكم الفرد الذي ينتمي لمجتمع له أنظمة وقوانين يجب أن يحترمها لكنه لا يستطيع ذلك .

وعندما يُعامل الأبناء بنوع من الإهمال وعدم الاكتراث ، فإن الأمر يسوء فيتعرضون إلى الأخطار ، فهاهو طفل يتناول جرعات من مادة سامة لأن أسرته في غفلة عنه ، فالطفل يميل - بحكم نموه - إلى حبّ الاستطلاع، ولذلك فهو يحاول أن يُجرب كل شيء يقابله في طريقه . وهذا التجريب لو تم بدون رقابة والديه ، فإن عواقبه تكون سيئة ووخيمة ، لذلك نوّكد على أن عملية الأمن والأمان إنما تتم من خلال تعامل الطفل مع كل مقومات البيئة، ومن خلال رقابة ضمنية لا تمنع حينما لا يكون هناك خطر على حياة الطفل وسلامته ، وتمنع حينما يكون هناك نذير بالخطر .

وفي دراسة أُجريت تبين منها أن الأمهات اللواتي يظهرن نفاذ الصبر ، وقلة الانتباه نحو الطفل ، يميل أطفالهن إلى الاعتماد على الغير ، وإلى قلة إظهار السلوك المُعبر عن الاستقلالية . وكذلك بيّنت هذه الدراسة وجود علاقة بين اعتماد الأطفال على الآخرين وبين استخدام الأهل لطريقة الحرمان من المحبة كإجراء تأديبي ، ولجوئهم إلى تهديد الطفل بالتخلي عنه .

أهم الحلول المطروحة :

○ المطلوب من الأب أو الأم غرس روح الانضباط في نفوس الأطفال ، حتى تستقيم الحياة من حولهم ، فإذا ما ألحت نفس الطفل على تخلى حدود مُعيَّنة غير صائبة ، فإن من واجب الأب أن يقف مع طفله وقفة حازمة وهادئة في الوقت نفسه ، كي يُبين له حدود الانضباط المرجوة ، وقواعد النظام التي ينبغي أن تكون . والطفل كائن معتدل يستطيع أن يستمع إلى توجيهات الأب والأم باحترام وثقة واطمئنان ، سيما إذا كانت هذه التوجيهات خالية من نبرات القسر أو العنف أو الأجحاف ، فلا نريد أن يكون الأب متسلطاً باطشاً ، وإنما بالطبع نريده صديقاً ودوداً لأبنائه .

○ يجب ألا يُقلل الآباء أو الأمهات من شأن الأطفال ، كما يجب ألا يتيحوا لهم الظروف التي من خلالها قد يشعرون بالعجز أو الفشل ، بل ينبغي أن يُشعروهم بقدرتهم على التغلب على تلك المشاعر ، وبالتالي فلنبتعد تماماً عن لوم الأطفال أو تأنيبهم على طول الخط .

○ شعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أسرته لما يقوم به من أعمال جديرة بالتقدير مما ينبه ويبعث الحماس للقيام بخير ما يستطيع ، فلقد قيل : " إنَّ التحمُّس هو الشيء الذي يجعل الدنيا تتحرك " . أما إذا لقي الطفل الاستهانة والتحقير أو الإشاحة وعدم الاكتراث ، فلن يبعث ذلك في نفسه إلا الشعور بالعجز والمرارة : لأنَّ قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع ، وتضمحل وتموت على التفرغ والتثبيط . وليس معنى ذلك ألا يُنتقد أو يُراجع إذا أخطأ ، ولكن ما أبعد الفارق بين المراجعة في رفق وحب ، وبين المراجعة في لوم وتحقير .

○ يجب أن يكون الآباء والأمهات ودودين ومتقبلين لأطفالهم ، فإذا أراد الأطفال أن يتحدثوا عن أشياء تخصهم ، أو طرح أسئلة تُؤرقهم وجب على الآباء أن يسمحوا لهم بذلك ، على أن ينصتوا إليهم جيداً . ومن المؤسف أننا نجد بعض الآباء والأمهات يضيق ذرعاً بأبنائهم عندما يبدأون بطرح الأسئلة أو الاستفسارات عليهم ، فالبعض يعتبر أن كثيراً من هذه الأسئلة ، إنما تتطوى على مواقف محرجة أو مخجلة ، وبالتالي فإنهم يشعرون بالعجز من إعطائهم الإجابات الشافية لها ، وخصوصاً حينما يسألونهم عن بعض الأمور الحساسة . ونحن من جانبنا نوكد

أنه لا يجوز - بحال من الأحوال - إلى الاستهزاء ومن ثم إهمال أسئلة الأطفال، أو نهرهم عليها ، بل ينبغي الإجابة عنها بقدر ما تسمح به عقولهم ، وبشرط أن تكون صادرة من آباء وأمّهات يميلون إلى إكساب أطفالهم العلم والمعرفة . أما الإسراف في كبح هذا الدافع فيؤدي بالأطفال إلى الإنحرافات . لا بد إذاً أن يتحلّى الآباء والأمّهات والمربون أيضاً بالصبر ، لأنّ الطفل قد يرغب في إعادة شرح حقيقة واحدة بعينها بكلمات مختلفة أو بعبارات متباينة ، علماً بأن هذا الشرح لا يكون مبعث ضيق أو ملل للطفل ، لأنّه يرغب في سماع هذه الحقائق المرّة تلو الأخرى حتى تصبح جزءاً من معرفته واعتقاده .

هذا وقد دلت البحوث والتجارب التربوية والنفسية أن التهرّب من الرد على أسئلة الأطفال أو الناشئة ، وتعمّد تأجيل الإجابة عنها ، إنما يتركهم عادةً يعانون من مشكلات لا يفهمون لها حلاً .

• ثالثاً : اتجاه النقد والسخرية :

ماهيته :

من الأشياء التي تُفقد الطفل إحساسه بالأمن النفسي والطمأنينة ، الإفراط في النقد أو البحث عن الأخطاء وتضخيمها : الأمر الذي يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هناك أقارب يعيشون في نفس البيت ، كالجد أو الجدة فيشاركون في توبيخ الطفل ونقده وتأنيبه .

وللسخرية أيضاً أثرها البالغ في فقدان الطفل إحساسه بالأمن والاطمئنان، وعلى ذلك فلا يجوز أن نسخر من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله ، كما لا يجوز أن نناقش عيوب الطفل أمامه ، سيما في وجود أشخاص غرباء .

ومن الأسباب الأخرى لفقدان الأطفال الصغار إحساسهم بالأمن وانعدام ثقتهم بأنفسهم ما يطلقه الكبار عليهم من أوصاف ، فكثيراً ما يصف الآباء والأمّهات أو حتى الأقارب أحد الأطفال بأنه " خائب " أو " سيئ الخلق " أو " غبي " أو " فاشل " فهذه الأوصاف - وغيرها - تؤدي إلى فقدان الشعور بالأمن والاطمئنان ، بينما تُطلق عكس هذه الأوصاف على أخيه أو أخته ، ممّا يزكى شعور الطفل بالغيرة والنفور والكرهية .

الآثار السلبية لاتجاه النقد والسخرية :

هناك بعض الأطفال يميلون إلى اختيار السلوك الانسحابي حينما يشعرون بأنهم ضحية للنقد القاسي والسخرية اللاذعة التي تصدر من الآباء أو الأمهات . وحينما يصبح الطفل منسحباً فإنه يتجنب التعرُّض للناس أو للمواقف أو الأشياء التي تثير في نفسه القلق والضيق بعد أن حدث له إحباط تتعلَّق بها . وإذا اضطرتّه الظروف إلى مواجهة هذه المواقف انطوى على نفسه وتقوقع وعاش مع الناس دون أن يتعايش معهم .

ومثل هؤلاء الأطفال ينفرون من الاحتكاك بزملائهم ، وهم في أغلب الأحيان يلعبون بمفردهم ، وعادةً يذهبون إلى المدرسة أو النادي ويعودون منها إلى البيت بمفردهم .

والطفل المنسحب يعوض النقص في الاشتراك في الموضوعات الخارجية بخلق موضوعات خيالية ، فهو يميل إلى الخيال ، وقد يؤدي ذلك إلى تحويل اهتمامه إلى الفن والقراءة وحبّ الطبيعة ، فيهتم بهذه الموضوعات أكثر من اهتمامه بالأشخاص .

وفي الغالب ما يكون هذا النوع الانفرادي من السلوك نتيجة عدم الوفاء ببعض الاحتياجات العاطفية كالحبّ والحنان والقبول والأمن ، ولكثرة ما يلاقونه من نقد وسخرية .

وبعض هؤلاء الأطفال الانعزاليين لهم صديق واحد فقط ، وهم يرون أن ذلك مناسب تماماً ، ويستطيع الآباء والأمهات أن يلاحظوا في سلوك الطفل الانعزالي أو الانسحابي ما إذا كان السلوك الانعزالي مبعث سرور للطفل نفسه ، أم أنه تباعد عن صراع ما ، أو أنه مضطر إلى ذلك تجنباً لمواقف يشعر أنه في غنى عنها والأفضل له تجنبها .

إننا نعتقد أن كثيراً من الأطفال الانعزاليين الهامشيّين هم أطفال لم يوف باحتياجاتهم العاطفية ، كما أنهم يعانون سلبيات المعاملة الوالدية المتمثلة في النقد والسخرية التي تنال من شخصيتهم .

أهم الحلول المطروحة :

○ أحياناً يتوقع الآباء والأمهات من أطفالهم تحقيق مستويات مُعيّنة ، قد تكون أكبر من إمكانياتهم أو قدرتهم الحقيقية ، فإن حصلوا على درجات تحصيلية أقل من المتوقع مثلاً ، فإن الآباء يثورون وينهالون على أطفالهم باللوم والسخرية . إنَّ الأطفال - بطبيعة الحال - ييغون إرضاء والديهم ، ولذلك فهم يحاولون شحذ هممهم ، ويهيئون كل طاقاتهم لتحقيق آمانيات والديهم ، ولا يخلو هذا الأمر من خطورة على صحة

الأطفال النفسية ، لأن كابوس الخوف من الفشل يظل يلازمهم تحسباً لنبذ الآباء أو نقد الأمهات أو سخرية الأهل والأصدقاء .

إنَّ مطالبة الأطفال بتحقيق أهداف تفوق مستوياتهم أو قدراتهم الطبيعية لهو الطريق الممهد لإصابة الأطفال بالقلق والإحباط ، ولذا نجد الأطفال الذين يُثقل كاهلهم بالمطالب عسيرة التحقيق ، يُعانون من الانزعاج والتوتر بصورة مستمرة ، كما أنَّهم يميلون إلى التقليل من قيمة إنجازاتهم ، إذ يعتقدون أنَّهم مهما أجادوا اليوم ، فقد يكون الفشل مصيرهم في اليوم التالي ، وذلك يُسبب إبداءً لمُشاعر والديهم !!

○ لا يجوز إظهار الأطفال بمظهر العجز والاستهزاء بهم أو السخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة ، فالسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيف - أحياناً - يُعتبر أمراً صحيحاً .

○ منح الطفل الثقة بذاته من خلال انفتاحه على الخبرات والتدرُّج فيها ، ويتطلب ذلك عدم السخرية من أفعال الطفل وسلوكه وتفكيره أثناء لعبه الحر ، بالإضافة إلى عدم تعويقه أو تشبيط همته خلال أي عمل يقوم به يُسهِّل سُبُل النشاط أمامه .. طالما أنَّ هذا النشاط أو اللعب يُتيح له إمكانيه المرور في خبرات مأمونة للعواقب . هذا مع البدء مبكراً في تنمية الاستبصار بالذات لديه حتى يتعوَّد على عملية تقييم ما لديه من قدرات وإمكانات تقييماً واقعياً تنعكس آثاره فيما قد يصنعه لنفسه من أهداف ، بحيث تأتي هذه الأهداف ذات إمكانية تحقيق عالية ممَّا يبيث الثقة في نفسه . وتستطيع الأم أن تُشرك الطفل معها في بعض الأعمال البسيطة المتصلة بإشباع حاجات الطفل الشخصية ، وهذا الإشارك في العمل البسيط بالطفل سوف يُساعده على النمو المتكامل . يُضاف إلى ذلك مراعاة التدرُّج فيما يُقدِّم للطفل من مهارات حركية بحيث يتوافق مع مراحل نموِّ الطفل تلافياً لموقف الإحساس بالفشل والإحباط التي يعيشها الطفل عندما يجد نفسه مُطالباً بأداء حركات تفوق طاقته ومرحلة نموّه وتتطلب قسماً من الضبط أو السيطرة البدنية لا تتوافر لديه ، ولا شك أن التدرُّج مع الطفل في هذه الناحية يكفل الانتقال الطبيعي من مستوى إلى آخر مع الاستمتاع بكل مستوى يعيشه أو يجتازه . وبذلك نكون قد أعطينا للطفل فرصة ليثق بذاته وقدراته من خلال مروره بهذه الخبرات والنجاح فيها .

○ الابتعاد عن كل ما يجعل الأبناء يحسون بأننا لا نثق بهم ، كأن تتم مراجعتهم باستمرار فيما يفعلونه من استذكار أو أنشطة ، كما ينبغي الابتعاد عن كل الأساليب التي تُقلل من شأنهم وتُفقدهم احترامهم لذواتهم .

○ لا بد أن نعي أن التشجيع يصنع المعجزات ، في حين لا يؤدي الغضب وتثييط المهمة والنقد والسخرية إلا الإضرار بالطفل ، فمن السهل أن نقول للطفل " أنت طفل لا فائدة منه " ، أو نقول له " إن متاعيك أكثر من نفعك " ، عندها يفقد الطفل إحساسه بالثقة في النفس ، وبالتالي يحس أن البيئة الأسرية لا توفر حاجته إلى الأمن والاطمئنان .

○ إذا كنا نعرض على ما يفعله الطفل من سلوك ، فيجب أن تكون هذه المعارضة منصبة على السلوك وليس على شخصية الطفل ، الأمر الذي يجعل الطفل يؤمن بأنه محبوب من الجميع بالرغم من عدم الرضا عن سلوكياته وتصرفاته الخاطئة . كما ينبغي أن يدرك الآباء والأمهات أنه ليس هناك أي تعارض في تصحيح أخطاء الطفل مع إشعاره دائماً بحبنا له ، بمعنى أنه يمكن أن ننهر الطفل وننقده لسوء سلوكه ، ثم نقدم له كلمات الحبِّ، ونحن نقول له " يهمنى أن نصحح سلوكك لأننا نُحبُّك " . أو " نُحبُّك حتى لو أدت تصرفاتك إلى إغضابنا " .. وبذلك يحاول الطفل أن يعدل من سلوكه ، عن اقتناع وليس عن رهبة .

• رابعاً : اتجاه الرفض والنبذ :

ماهيته .. وأسبابه :

أشار "ماكورد" Mccord ورفقاؤه في دراستهم لمجموعة من الصبيان المعتمدين على الآخرين بشكل مُفرط إلى تميُّز علاقاتهم مع الأم بالقلق . ويُعرب غالبية هؤلاء الصبية عن الشعور بالدونية والخوف الذي لا مبرر له ، فهم يُعانون من رفض ونبذ من قِبَل الأهل ، ومن مقارنات مجحفة بينهم وبين إخوتهم أو أخواتهم . وهم دوماً في الجانب السلبي ، بينما يكون الأخ أو الأخت موضوع المقارنة في الجانب الإيجابي . ولقد لاحظ هؤلاء الباحثون أن العلاقات العائلية لهؤلاء الأطفال تتسم بالمشاجرات والخلافات .

وتُشير هذه الأبحاث وما أسفرت عنها من نتائج إلى أن ميل الطفل إلى الاعتماد المُفرط على الآخرين ، وضعف قدرته على الاستقلالية لا ينتج عن محبة زائدة أو محبة مُبالغ فيها من قِبَل الأهل ، وإنما يكون ذلك نتيجة لعلاقة مضطربة مع الأهل خصوصاً مع

الأمّ؛ فالعامل الأهم الذي يُحدّد استقلالية الطفل وتطوُّر قدرته في الاعتماد على الذات يكمن في طبيعة العلاقة القائمة بين الطفل والأمّ؛ فالطفل الذي يُعاني من الحرمان، ومن قلة الحنان والمحبة، يكون شديد الاعتماد على الآخرين بخاصة على الأمّ، ومدى تفهمها له، وقبولها إياه، وبذلك يُريد أن يجذب انتباهها واهتمامها، وغالباً ما يضيّق صدرها به ويقل صبرها، وهكذا يستقر الاثنان في حلقة مفرغة، وفي علاقة قلقة مضطربة .

أمّا عن الأسباب التي تدعو الطفل إلى الشعور بأنه مرفوض أو منبوذ

فنوجزها في التالي :

- إهمال الطفل وعدم الاكتراث به، ويتمثل ذلك في عدم السهر على راحته، وعدم إشباع حاجاته البيولوجية من طعام وشراب ونظافة، أو الحاجات السيكولوجية من حُبّ وأمن وانتماء وتقدير ذات .. إلخ .
- انفصال الطفل عن والديه، فالطفل الصغير يتألم أشد الأئم لانفصال أمّه عنه، حتى إن كان لفترات قصيرة من الوقت، فإن هذه الفترات كافية لأن تُشعره بالقلق والضيّق، وقد يحدث في بعض الحالات أن يؤدي بُعد الأمّ وتغيُّبها عن الطفل إلى نوع من الاستتارة الانفعالية، تكون أحياناً على شكل صرّع أو ثورات غضب عصبية .
- التهديد المستمر بتوقيع العقاب البدني المؤلم .
- التهديد بالطرد من المنزل أو الحرمان من نزهة، أو إرساله إلى إحدى المدارس الخاصة أو الداخلية، أو تسليمه إلى رجل الشرطة (العسكري) .. إذا هم الطفل بارتكاب خطأ ما .
- كثرة التحذيرات، فإذا ما طالب الطفل أن يخرج للعب مع رفاقه خارج المنزل هدده الأبوان بأن ذلك سوف يُعرضه للحوادث، أو غير ذلك من التحذيرات المتعلقة بالطعام كأن يُقال له إن تناول الطعام (الفلاني) سوف يُصيبك بمرضٍ خطير . إنّ هذه التهديدات والتحذيرات على مستوياتها المختلفة تثبت في عقل الطفل، وترتبط بمثيرات مُعيّنة، وتصبح فيما بعد مصدراً للفرع والضيّق وعدم الشعور بالأمن .
- إذلال الأطفال بصور مُعدّدة : كالنقد والسخرية، أو اللوم، أو المقارنة المجحفة بينهم وبين الآخرين في أمور تقلل من شأنهم في نظر أنفسهم، أو إطلاق أسماء أو ألقاب تهكمية عليهم .

○ أن يسود سلوك الأم الضجر والتذمر ، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم كأن يوضع سرير الطفل في مكان مُعرّض لتيار الهواء ، أو إهمال الإجابة عن أسئلته ، أو نسيان أعياد ميلاده ، أو عدم التعقيب على تقارير المدرسة ، أو عدم مدح الطفل إذا ما حصل على جائزة تدل على تفوقه .

• الآثار السلبية لاتجاه الرفض والنبيذ :

○ الكراهية Hate من المشاعر الأليمة التي يُعاني منها الطفل في تنشئته بين أفراد أسرته، وتربيته وتعليمه في مدرسته وبين زملائه من التلاميذ ، وتنشأ الكراهية عندما يُحس الطفل بأنه مكروه من أفراد أسرته أو منبوذ من زملائه لأي سبب من الأسباب ، وإذا سيطرت هذه المشاعر أو الأحاسيس على الطفل انهارت معنوياته وتصدّعت شخصيته وصار فريسة لعدد كبير من الآلام النفسيّة ثم اضطراب الشخصية ، وقد ينتهي به الأمر إلى الإصابة بالعقد النفسيّة .

وقد تتولّد الكراهية أيضًا في نفس الطفل من عدم رغبة الوالدين أحدهما أو كليهما في الإنجاب فيفاجآن بوجوده ، فيقابلانه بفتور وعدم اهتمام ، ممّا يؤثّر على نفسية الطفل ويجعله يشعر بأنه مكروه من أهله غير مرغوب فيه ، وقد يحدث الأمر أيضًا عندما يكون الوالدان يريدان ولدًا فتأتى بنت أو العكس فيخيب أملهما ويقابلان المولود بشيء من الفتور وعدم الاهتمام .

○ الطفل في حالات الرفض والنبيذ يشعر بعدم الأمان ، فيصاب باستياء بالغ من والديه ، ومن ثمّ تنشأ حلقة مفرغة بين الوالدين والطفل ، فالطفل يُبدى عدم تعاطفه أو عدم اهتمامه أو تأثره بوالديه ، وهم بدورهم يبادلونه نفس المشاعر ، ومن هنا يفقد الطفل ثقته بأسرته ، كما تدهمه حالة من الغيرة الشديدة تجاه إخوته أو أخواته المُفضّلين عليه ، بدنيًا أو لفظيًا ، كما يحاول إفساد كل شيء من حوله ، ولا يحترم النظم السائدة في البيت ، فيميل إلى التمرد والعصيان وإلى اختراق كل الأساليب المتبعة ، فهو متمرد ومشاكس وعدواني .

○ وقد يسلك بعض الآباء مع أبنائهم أنماطًا مختلفة من السلوك تدفعهم إلى الشعور بأنهم مرفوضون أو منبوذون وغير مرغوب فيهم ، وكلّما تكرر هذا السلوك - وخاصة في المراحل الأولى من حياة الطفل - أثر ذلك تأثيرًا مباشرًا وبالغًا في تكوينه النفسي،

لأنَّ الطفل في هذه الفترة من فترات النمو يعتمد اعتماداً كلياً على والديه ، إذ يطلب منهم العطف والحُبَّ والرعاية والحماية .

○ وهناك عدد من الآباء والأمهات ينبذون أطفالهم سواء بالقول أو الفعل ، الأمر الذي يترتب عليه افتقارهم للإحساس بالأمن النفسى والطمأنينة ، فتنمو لديهم روح العدوانية والرغبة فى الانتقام ، وزيادة حساسيتهم فى المواقف المختلفة ليصبحوا عنيدين وأنانيين . وقد يؤدي هذا النبذ إلى انحرافهم أو جنوحهم إلى الاستكانة والاستسلام ، فيصيرون جنباء فى تصرفاتهم ، لا يستطيعون التركيز الذهني فيما يكلفون به من أعمال ، ممّا يؤدي إلى تخلفهم عن أقرانهم فتظهر لديهم اضطرابات الشخصية فى المراحل التالية لنموهم .

○ الطفل غير المرغوب فيه أو المنبوذ يكون دائم الملاحظة لوالديه ، شديد المراجعة لهم ، فهو يتتبع خروجهما وعودتهما بتلهف شديد وقلق زائد .

كما يقوم مثل هذا الطفل بعدة محاولات ليكسب بها حُب والديه ، وذلك بسبب ما يشعر به من أنَّهما لا يبادلانه الحُبَّ ، ويلاحظ أنَّه بقدر قلة حُب الآباء والأمهات لأبنائهم ، بقدر ما يتعلّق الأبناء بهم ، وهناك ظاهرة تتعلّق بنقص الحُبَّ والرعاية ، فإذا عجز الطفل فى الحصول على حُبِّ أمه مثلاً ، فإنَّه فى بعض الأحيان يلجأ إلى سرقة شىء عزيز لديها ويحتفظ به بعيداً عنها ، وفى العادة لا يكون للشيء المسروق قيمة تُذكر ، والطفل يضع الشيء المسروق فى مكان أمين ، ويتفحصه بشوقٍ واهتمام كلما مرَّ بمواقفٍ مُحِبطة أو مؤلمة ، ويجد فى الاحتفاظ به رمزاً لاستمرار العلاقة ، ولهذا يحرص عليه جداً ، وإذا فقده فإن علاقته بموضوع حُبِّه واهتمامه يتهدد .

○ يقوم الطفل بأنواع من السلوك يقصد بها لفت نظر والديه كالصرخ أو الضحك بصوت مرتفع ، أو القيام بنشاط زائد ، أو كثرة الشكوى والتذمُّر ، أو التخريب ، أو إتلاف الأثاث وأدوات المنزل ، أو السرقة ، والطفل يقوم بذلك السلوك إمَّا ليلفت الأنظار وبالأخص نظر والديه ، وإمَّا لينتقم منهم ، فإذا قام الطفل بإتلاف أدوات أو أثاث المنزل ، فإنَّه يعرف جيداً أن والديه سوف يشتريان أدوات أو أثاث جديد وفى هذا عقاب لهما !!

○ وفى حالات أخرى يُعرِّض الطفل المنبوذ نفسه للجروح أو الكدمات ، ليلفت الأنظار إليه ، وذلك حتى يعنى به الأبوان ، وقد يتمادى الطفل فى تلك التصرفات فنراه يدعى

المرض بصفة متكررة ، أو يمتنع عن الطعام ، أو قد يتبول لإرادياً ، وهى ظواهر تتم عن اضطرابات نفسية .

○ يقوم هؤلاء الأطفال بسلوكيات تتم عن حقدهم على المجتمع وتعديهم على السلطة ، إنَّ سلوكهم فى حقيقة الأمر يكشف عمَّا يعانونه من المرارة والحقد والغيرة وعدم الرُّضا .

• أهم الحلول المطروحة :

تؤكد الدراسات أنَّ الحُبَّ يلعب دوراً كبيراً ومهماً فى نشأة الشخصية ، وفى تشكيل مفهوم الذات Self Concept بحيث إن إحياء الحاجة إلى الحُبِّ يؤدي إلى تدهور الحالة النفسية والجسمية للفرد .

والحُبُّ الذى نعيه .. هو قبول الطفل ورضا المحيطين عنه وتجاوبهم معه ، والاعتزاز بكيونته وشخصيته ، والنظر إليه بنوع من السماحة التى تغفر له أخطائه ، وتُزكى حسناته ، بحيث يشعر الطفل بأنَّه محبوب أى مرغوب فيه ، وأن له ظهراً يحميه ويسانده ويؤازره .

ولقد كشف علماء النفس عن أن الطفل ليس محتاجاً فقط لأن يُحِبَّ ، بل هو محتاج أيضاً إلى أن يُحِبَّ ، وذلك الحُبُّ الذى يُمثِّلُ عاطفة متبادلة بينه وبين أسرته وكل المقربين إليه ، سواء فى محيط الأسرة أو العائلة أو المدرسة أو النادي ..

وقد ثبت أن إحساس الطفل بأنَّه غير مرغوب فيه أو منبوذ إنما يُحطم روحه المعنوية ، ويجعله ينطوي على نفسه ، ويزداد إحباطه ، وبالتالي تسوء صحته النفسية ، وهو الأمر الذى تنهى عنه ونحذر منه على طول الخط .

والحاجة إلى الحُبِّ هى أهم الحاجات النفسية والوجدانية التى يسعى الطفل إلى إشباعها ، فهو يحتاج إلى الشعور بأنَّه مُحَبَّبٌ ومحبوب ، والحُبُّ المتبادل بينه وبين أفراد أسرته حاجة ضرورية لصحَّته النفسية ، لأنَّه يُريد أن يشعر بأنَّه مرغوب فيه ، وبالتالي ينتمى إلى جماعة أو بيئة تُحبه وتمنحه العطف والحنان .

والحُبُّ للطفل هو الغذاء النفسى الذى تنمو وتنضج عليه شخصيته وتفتح ، وكما يتغذى جسمه على الطعام ، فإنَّ نفسه تتغذى على الحُبِّ والقبول .

إنَّ قوة الخُلُق ، وسوية الشخصية ، والشجاعة ، والأمانة ، والصدق ، والاعتزان ، والثقة بالنفس والاعتزاز بها ، والرغبة فى أن يكون الفرد إنساناً خيراً ، إنما تُبعث جميعها من شعور الطفل بدفء الجوِّ الذى يعيش فيه ، ومن إدراكه بأنَّه موضع الحُبِّ والثقة والاحترام ،

وبأن أعماله وإنجازاته تلقى من الآخرين المساندة والتشجيع ، ثم الشناء والتقدير ، فإذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا على الثقة والاطمئنان ، وأن يتجهوا إلى العمل البنّاء في تعاون وتضحية وإيثار ، وأن يجدوا السعادة في البذل والعطاء ، فلنمنحهم الحُبَّ أولاً وأخيراً. والحُبُّ الذي ننشده لأبنائنا هو حُبُّ الإيثار لا الغيرة ، وحُبُّ العطاء لا الأخذ .

والطفل يكتسب العادات الانفعالية السليمة ، وبالتالي يأتي بالسلوك الاجتماعي المرغوب ، إذا ما تم استمرار إشباع حاجاته إلى الحُبِّ الذي يشعر من خلال هذا الحُبِّ أنه موضوع حُبِّ والديه وإخوته وأخواته وكل مَنْ يتعاملون معه . فالطفل إذا شعر أنه مرغوب فيه وغير منبوذ ، وأنه موضع حُبهم فإنه يستطيع أن يُحقق من هنا الإشباع الكثير من أسباب الاتزان الانفعالي حيال مواقف الحياة المختلفة ، بالإضافة إلى أن إشباع الحاجة إلى الحُبِّ تُبعد الطفل عن الإحساس بالكراهية نحو غيره من الناس . وذلك يمكن أن يُحقق له الهدوء النفسي ، وتقبل ذاته ، فينمو نمواً سليماً بعيداً عن مشاعر الخوف ، والقلق، والاضطراب .

• خامساً : اتجاه التسلُّط :

ماهيته .. وأسبابه :

يتمثل اتجاه التسلُّط Attitude Of Authoritarianism في فرض الأمِّ أو الأب لرأيه على الطفل ، ويتضمَّن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية ، أو منعه من القيام بسلوك مُعيَّن لتحقيق رغباته التي يريدها حتى لو كانت مشروعة، أي أنَّهما يتبعان الأسلوب الصارم في التنشئة .

وقد يستخدم أحد الوالدين أو كلاهما في سبيل ذلك أساليب تتراوح ما بين الخشونة والنعومة ، كأن يستخدموا ألواناً من التهديد أو الإلحاح أو الضرب أو الحرمان .. إلخ ، ولكن النتيجة هي فرض الرأي سواء تم ذلك باستخدام العنف أو اللين ، ويكون تسلط الأب بالأمر والنهي أو بالتهديد أو الضرب أحياناً .

أمَّا الأمُّ فقد تتسلَّط باللين والمُحابة والإلحاح وقد يتمثَّل ذلك في أن تفرض على الطفل التعامل مع الأطفال الأغنياء مادياً دون الفقراء (إذا كانت الأسرة غنية مادياً) ، أو ارتداء ملابس مُعيَّنة ، أو أن تفرض الأمُّ على أبنها نوعية لعب مُعيَّنة كـ"الميكانو" مثلاً ، لأنها تريد لطفلها أن يكون مهندساً في المستقبل ، أو أن تفرض عليه طريقة استذكار

بعينها ، وهى تفعل ذلك بشكل دائم حتى يُسلم الطفل قيادته دوماً للآخرين ، فعندما يكبر الطفل فقد يفرض الوالدان عليه دخول القسم العلمى بدلاً من القسم الأدبى أو العكس ، أو الالتحاق بكلية لا يرغبها الابن.. إلخ .

وهذا الأسلوب يلغى رغبات وميول الطفل منذ الصغر ، كما يقف عقبة فى ممارسته لهواياته التى يعشقها ، ويحول دون تحقيق ذاته فلا يشبع حاجاته ، كما يحسها الطفل نفسه .

أما أسباب استخدام التسلُّط فقد يرجع إلى خبرات الآباء فى طفولتهم حيث يكون الضمير اللأ شعورى لدى بعض الآباء قوياً متزمناً نتيجة لامتناعه معايير صارمة ، ومثل هؤلاء الآباء غالباً ما يحاولون تطبيق هذه المعايير على أطفالهم ، وربما لأن الأب مدمن أو سكير ، ومن هنا يكون غير راض عن نفسه ، لذلك ينشد الكمال في أبنائه بفرص تسلطه ، وأحياناً قد نجد الصرامة من الأم نتيجة فقدتها لأمتها فى طفولتها ، وتحمل مسئولية إخوتها أو أخواتها الصغار ، لذلك تتخذ لنفسها اتجاهات صارمة فى معاملة أبنائها .

وقد تكون الأسرة مؤمنة ببعض الأفكار التى تحاول بالتالى فرضها على أطفالها كأن يُحمل الأطفال على ضبط سلوكهم والامتناع عن إبداء أى أنشطة لا تتماشى مع ما يؤمنون به ، أوأنه لا بد أن يُصَب الأطفال منذ نعومة أظفارهم فى قوالب جاهزة ، بحيث لا يخرجون عن حدودها على الإطلاق ، هذه القوالب بالقطع من إعداد وإخراج الآباء والأمهات أنفسهم .

كما أن هؤلاء الآباء لا يؤمنون بمبدأ التشجيع أو الإثابة بل يؤمنون بمبدأ القمع والعقوبة ، لأن عدم استخدام العقاب لا يؤدي إلى حدوث الكف المطلوب - من وجهة نظرهم - فعن طريق هذه العقوبات يتسنى تنشئة الأطفال تنشئةً صالحة لأنها هى الضامن الوحيد فى نظر الآباء والأمهات لشحن الهمم ، وتقوية الإرادة ، وتجهيز الطاقات النفسية للتعلم وممارسة الحياة على نحو صحيح !!

الآثار السلبية لاتجاه التسلُّط :

هذا الاتجاه فى التنشئة غالباً ما يساعد على تكوين شخصية خائفة دائماً من السلطة ، شخصية خجولة ، حساسة ، تشعر بعدم الكفاءة والحيرة ، غير واثقة فى نفسها فى أوقات كثيرة ، خصوصاً عند مواجهة المواقف التى ينبغى فيها الاختيار . شخصية ليس لها القدرة على التمتع بالحياة ، تشعر بالخوف من الآخرين ، وبعدم الثقة فيهم .

والطفل حين يكبر غالباً ما يكون في عمله دائم الإهمال إلا في وجود السلطة والرقابة، ومثل هذه الشخصية غالباً ما تتلف أو تتعدى على ممتلكات الغير، ففي المدرسة نجد أن الطفل يحطم المقاعد والأدراج، ويتلف محتويات المدرسة، ولا يواظب على الحضور ومتابعة الدروس إلا إذا ضُغَط عليه. والشخصيات التي تُعاني التسلُّط نجدها دائماً شخصيات غير مسؤولة فهي تعبت بالحدائق والمتنزهات، وتكتب على جدران المتاحف والمعابد وترسم على محتوياتها بغرض تشويهها، وتعتدي بالتخريب على وسائل المواصلات، وتُزاحم الركاب، وتثير الفوضى والبلبلة.

ومثل هذه الشخصيات التي هي بالطبع نتاج التربية التسلُّطية تصبح مصدر قلق المجتمع، لأنها لم تتعود الاستمتاع بحريتها في الطفولة ولم تشبع حاجاتها إلى الكشف والحرية والتمتع بثمارها، على أن هذه الشخصيات غالباً ما ترتكب أخطاءها في غيبة السلطة، أما أمامها فتكون شخصيات تتسم بالخوف والذعر والهلع.

أهم الحلول المطروحة :

التربية الديمقراطية تتيح للطفل بلا شك الناح المثالي للنمو والازدهار، وعلى خلاف ذلك، فإن العنف والتسلُّط شأنه أن يؤدي إلى عملية استلاب شاملة للإنسان.

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والتربوية أن النجاح والتفوق الدراسي كانا على الدوام من نصيب الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية تتميز بسيادة العلاقات الديمقراطية، وبيّنت الدراسات أيضاً أن الإبداع والابتكار مرهونان بدرجة الحرية التي تُمنح للأطفال في حركتهم وفي تلبية احتياجاتهم، فالحرية تمنح القدرة على التفكير النقدي الفاعل، وبالتالي فإن التربية التسلُّطية من شأنها تفريغ الإنسان من محتواه، واستلاب جوهره الإنساني، وقتل طاقة التفكير المبدع والخلاق لديه، وحرمانه من هامش الحرية الضروري لتفتح شخصيته الإنسانية.

إذاً ينبغي أن يسود جوُّ أسري مشبع بهواء الحرية ونسيم الديمقراطية، وذلك حينما يتمكن الأطفال من التعبير عن أنفسهم وأفكارهم وحاجاتهم بدون خوف أو تردد، ولعلّ أذكر مقولة الأديب الكبير "مصطفى لطفى المنفلوطي" التي يقول فيها متغنياً بالحرية: "إن الحرية شمس يجب أن تشرق من كل نفس.. ومن عاش محروماً منها فقد عاش في ظلام حالك"

وعلى ذلك فإنه ينبغي لأطفالنا أن يشاركوا آباءهم وأمهاتهم في اتخاذ القرارات التي تخصهم وتتعلق بحياتهم ومستقبلهم على أن يكون ذلك مرهوناً بمستوى تقدمهم في النضج والنمو. كما لا بدّ أن يعتاد الأطفال على الحرية والاختيار ، لأنّ الإنسان ينمو بيولوجياً وخبرائياً بالاختيار الحر من بين خيارات كثيرة مطروحة أمامه . ليس هناك ما هو أجمل من الحرية في حياة الإنسان ، يقول كاتبنا العملاق "توفيق الحكيم" : "الحرية هي الهواء الضروري لسعة الصدر والعقل" ، كما يقول عنها "فولتير" : "لا وجود لوطن حر إلا بالمواطنين الأحرار" .

وإذا كانت هذه هي النظرة الإيجابية للحرية والتي لا يختلف عليها أحد ، إلا أننا نرى ضرورة أن يتم تقنين الحرية التي تُعطى للأطفال والشباب على حد سواء ، صحيح أنّ الحرية هي مبدأ لا يمكن له أن يتجزأ ، ولكنه ما ينبغي أن نقوله هو أنّ الحرية التي تُمنح دون ضوابط تربوية وموضوعية قد تنقلب إلى نوع من أنواع التسيّب ، فليس من المعقول أن نمنح الطفل حريته في مزاولة أنشطة ترويحية أو ترفيهية مُعيّنة على حساب إهماله فيما يجب أن يُنجزه من واجبات تحصيلية أو مدرسية . وليس معنى أن نُعطى الشباب حريته هي أن نتركه يُسيء اختيار رفاقه وأصدقائه ، ومن هذا المنطلق يقول الكاتب الأيرلندي الشهير "جورج برنارد شو" : "الحرية تستتبع المسؤولية" ، كما قالت مدام "رولان" مقولتها الشهيرة حول هذا المعنى : "أيتها الحرية : كم من الجرائم تُرتكب باسمك" .

• سادساً : اتجاه القسوة :

ماهيته .. وأسبابه :

اتجاه القسوة Attitude Of Cruelty يتمثل في استخدام كافة الأساليب التي تُسبب للطفل الفزع والخوف وعدم الإحساس بالأمان كعقابه وتأنيبه وتسفيهه ، وكل ما يؤدي إلى إثارة الألم الجسدي والمعنوي كأسلوب أساسي في عملية تنشئة الطفل وتطبيعته اجتماعياً . ويتضح هذا الاتجاه أو الأسلوب عادةً في الأسرة التي تفهم الرجولة على أنّها الخشونة والتجهم والعبوس ، أو عدم التبسط مع الطفل خاصة الذكور منهم . وغالباً ما تفهم هذه الأسر الرجولة أيضاً على أنّها أوامر ونواهٍ وعقاب .. إلخ .

وأسباب استخدام هذا الأسلوب في التنشئة يمكن تلخيصه في التالي : ملاحظة غياب العلاقة العاطفية أو ضعفها بين الطفل والأمّ عند الأطفال الذين يُعاملون بقسوة

وعُنف . لقد كانت الفرضية السائدة لتفسير قسوة الأمِّ نحو الطفل هي الولادة المُعقَّدة التي تستدعي فصل الطفل عن الأمِّ ، إلا أنَّ الأبحاث لم تؤكِّد هذه الفرضية . فالانفصال في الأيام الأولى ليس السبب الأساسي في اضطراب العلاقة بينهما ، والعلاقة بين الأمِّين ليست علاقة سببية بسيطة ، فبالرغم من أهمية الأيام الأولى التي تلي الولادة في تطور علاقة الأمِّ بالطفل ، إلا أنَّ ذلك لا يكفي لتحديد طبيعة هذه العلاقة في مراحل لاحقة ، فقد يكون الانفصال متداخلاً مع عوامل أخرى كالقلق وعدم نضج الأهل ، والأزمات الحادة في حياة الأسرة ، فالتعلُّق ليس وليد اللحظات التي تلي الولادة ، فهو يتطوَّر تدريجياً بين الطرفين، وتبدأ الروابط بينهما بالاستقرار خلال الأشهر الأولى التي تلي الولادة . وهذا ما يدعو إلى النظر للتعلُّق بين الطفل وأمه بمجمله ويتطوره في مختلف مراحل حياة الطفل . وبالرغم من انفصال الأمِّ في حالة الولادة المبكرة (قبل الأوان) لأسباب طبية ، تتمكَّن الأمُّ في شروط مناسبة بعد اجتماعها بالطفل أن تقوم بدورها على الوجه الأكمل ، وأن تجعل روابط التعلُّق بينهما على درجة من القوة والتماسك كما هو الحال بالنسبة للأمِّ التي تلد في الوقت المناسب .

ويميل الكثير من المشتغلين في الشئون الاجتماعية إلى القول بأنَّ معاملة الطفل بقسوة غالباً تكون نتيجة حالة مرضية عند الأهل خاصَّة عند الأمِّ ، وكذلك نتيجة لشروط الوسط العائلي الذي يعيش بكنفه الطفل ، وقد يلعب دوراً كبيراً في تطوُّر علاقته السيئة ، فبالرغم من التأثير الكبير الذي تمارسه الأمُّ في صياغة سلوك طفلها في تطوُّر التعلُّق بينها وبينه ، فهو بدوره يؤثر في صياغة سلوكها . ويمكن ملاحظة الصعوبة أحياناً بالنسبة للأمِّ ليس فقط في تربية الطفل بل أيضاً في محبته ، فالطفل "المُشكَّل" أو الطفل "الصعب" يُساهم في إحباط سلوك الأمومة ، ويدفع الأمِّ إلى عدم تقبله وعدم محبته ويكون سلوكه مصدراً للتوتر والاضطراب ممَّا يضع الأمِّ في حالة من الغموض لعدم قدرتها على الاستجابة المناسبة لمتطلباته ويُشعرها بالفشل والاحفاق في القيام بدورها .

مظاهر من أساليب القسوة :

إذا تعثر الطفل الصغير في سيره وهو يشرب مثلاً ووقع منه الكوب فإنَّه يُضرب ويُصفع على وجهه . وإذا نجح في المدرسة وحصل على درجات لا يرضى عنها الأب فإنَّه يُعاقب ويُهان لعدم نياله الدرجات النهائية أو الدرجات التي يراها الأب مناسبة للاطمئنان

على مستقبل ابنه دون مراعاة قدرات وإمكانات هذا الطفل . وإذا كبر الطفل وأصبح ذا قدرة على الاعتراض بسبب معاملته مُعاملة قاسية فإن الأم تنبرى فى عقابه والأب أيضاً يُشاركها فى ذلك خوفاً من أن يفلت زمام طفله . وحينما تترك الأم طفلها ليقوم بأعمال أكبر من مستوى عمره وينوء كاهله بتحمُّلها كأن تتركه يقوم بغسل وتنظيف ملابسه بنفسه . فإذا لم يتمكن من ذلك فإنها تُعاقبه بشدة وقسوة . وإذا أرسله والده ليبتاع شيئاً مُعيَّناً وفضل الطفل فى شراء ما يريده الأب فإنه ينال تعنيفاً وزجراً ثم عقاباً بدنياً مؤلماً لأنه فى نظر الأب يُعتبر طفلاً خائباً .. وهكذا .

الآثار السلبية لاتجاه القسوة :

يترتب على هذا الاتجاه وجود شخصيات متمردة تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المُتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعويض عما تتعرض له من ضروب القسوة . وعلى هذا فإن هذه الشخصيات ينتج عنها السلوك العدوانى الذى يتجه نحو الغير ، مثال ذلك : إتلاف حاجيات الآخرين ، والعيب بممتلكات الدولة ، دون أى إحساس بالذنب أو التأنيب . وهذا الشخص لا يشعر بانتمائه لأسرته ولا حبهم له ، ولا بثقته فيهم ، وبالتالي يُنفس عن كل هذه الأحاسيس بالتخريب فى كل ما لا يملكه ولا يحس به ، فقد يلجأ إلى تعذيب الحيوانات والطيور ، فهذه قطة يربطها من رقبتها ويجذبها إلى أن تختنق ، وهذا عصفور فى قفص يُشعل الورق ويقذف به نحوه ليحترق ، وهذا ضرير يطلب مساعدته لعبور الطريق فيأخذه بيده إلى وسط العريبات ويتركه ليلقى الخطر دون أى شعور بألم أو مرارة أو تأنيب ضمير لنتائج أفعاله الشريرة . إن مثل هذه الشخصية لم تجد الحب بل وجدت القسوة من أقرب الناس إليها فأصبحت لا تعرف الرحمة . وهذا الإنسان ليس لديه بالقطع أية حساسية اجتماعية ، كما أنه لا يشعر بإنسانيه البشر الذين لم يرحموا إنسانيته فى طفولته ، وإذا قلت له مخاطباً مشاعره : إرحم الناس ، فإنه سرعان ما يقول فى ألمٍ مختلط بالقسوة : وأنا من رحمني !!

وهذا الإنسان غالباً ما يُسعدُه أن يرى الناس من حوله غير سعداء ومُعذبين لأن رؤية السعادة والفرحة التى حُرم منها فى طفولته التعسة ، تُعذبه وتقلقه . إن القسوة فى التعامل مع الطفل تُعرقل نموّه السوى وتؤدى إلى عكس ما ينتظر منها ، والقسوة بالقطع مُدانة علمياً وأخلاقياً وتربوياً .

أهم الحلول المطروحة :

○ إنَّ مسألة انضباط الطفل وتعليمه أن يسلك وفق قواعد تُحدِّد ما هو مقبول وما هو غير مقبول مسألة مهمة بالنسبة للأهل ، خاصَّةً بالنسبة للأمِّ ، والطفل يُظهر الاستجابات المناسبة نحو الأشخاص الذين يُحبهم ، وتؤثِّر طبيعة علاقة الأمِّ بالطفل في مدى تقيده بالقواعد والقوانين التي تُحدِّدها له ، فالاهتمام بالطفل ومحبته يُعزز الثقة المتبادلة بين الأطفال والأهل . وموافقة الأهل ورضاهم يُعزز سلوك ما عند الطفل ، بينما يمنع ظهوره رفض الأهل واستنكارهم لهذا السلوك . لأنَّ الضبط والدقة في ردود أفعال الأهل واختيار الوقت المناسب لظهورها يلعب دوراً مهماً في ضبط الطفل وتعليمه كيفية التصرف بطريقة مقبولة اجتماعياً .

○ نوه بأنَّ الغضب الذي يتم توجيهه للطفل إنما يُفقد الثقة بنفسه وبأمانة واطمئنانه ، فإذا حدث مثلاً أن أسقط الطفل كوباً من الماء وهو يهتم بتناوله ، فالأفضل للآباء والأمهات أن يُقدروا هذا الأمر تقديرًا صحيحًا على أساس أنَّه خطأ غير مقصود من الطفل ، إذ من الخطأ البالغ أن نمنعه من المساعدة أو الاعتماد على النفس مستقبلاً ، كما أننا نخطئ أشدَّ الخطأ إذا بالغنا في القلق تجاهه . كما أن النصح المستمر بالحدِّ والانتباه لا يُجدي شيئاً ، فالطفل يتعوَّد تجاهل هذه التحذيرات المستمرة ، ومن الخطأ أيضًا أن نُحمِّل الطفل شديد الحساسية مسئولية لا يكون قد تهيأ لحملها ، لأنَّ إخفاقه يؤدي إلى فقدان الثقة في نفسه ، وبالتالي فقدان أمنه واطمئنانه .

○ من أكثر الحاجات النفسيَّة التي يحتاج إليها الأبناء هي الحاجة إلى أن يحميهم الأب - وهو المسئول عن الضبط بالأُسرة - من أنفسهم ، ومن الأهواء التي يمكن أن تعصف بهم ، وتطيح بطمأنينتهم وسلامهم . بيد أنَّ الحزم الذي يجب أن يتمتع به الأب ، ليس معناه مُصادرة حرية الأبناء في تسيير شؤون حياتهم ، وليس معناه أن تسيير حركة سلوكهم بتوجيه من الخارج ، وأن ينتظروا في كل صغيرة وكبيرة مشورة الأب ، إنَّ أبا من هذا النوع يجب ألا يوصف بالحزم ، بل بالقسوة ، فالأب القاسي هو الذي يعمد إلى مُصادرة حرية أبنائه ، وهو الذي لا يترك لهم حيزاً من حياتهم يسلكون فيه ، وهو الذي يُصادر حرية الأبناء في التصرف وفي تحمُّل المسئولية .

- وواقع الأمر فإن هناك فروقاً جوهرية بين الحزم والقسوة نوجزها في التالي:
- 1 - الحزم يكون متبصراً فظروف الموقف ومقوماته ويحالة الأبناء النفسية ، بينما تكون القسوة عمياء لا تأخذ الظروف الموضوعية أو الظروف النفسية في الاعتبار .
 - 2 - الحزم صدى لمصلحة الأبناء بينما تكون القسوة صدى للأحقاد المعتملة في نفسية الأب ، فالأب الحازم هو الذي يعرف جيداً بأن حزمه موصل حتماً للطريق السليم في تحقيق السوية للأبناء ، أمّا الأب القاسي فإنه لا يستطيع أن يُميز بين ما يُفيد الأبناء وبين ما يضرهم ، وإنما يُصدر في قسوته انفعالات غير متبصرة العواقب .
 - 3 - الحزم يستهدف مساعدة الأبناء على التحكم في أنفسهم ، بينما تستهدف القسوة في سلب إرادتهم وجعلهم عاجزين عن التحكم في أنفسهم ، وإنما يكون كبح جماحهم من الخارج من جانب الأب ، فالأب الحازم يهتم بأن يكون حزمه وسيلة معاونة على ترشيد الأبناء ومساندتهم على تحقيق الفطام النفسي والاجتماعي في أقرب وقت ممكن ، فالحزم إذاً وظيفي ولا يعدو أن يكون وسيلة ، بينما القسوة هدف في حد ذاتها .
 - 4 - إن للحزم أهدافاً إيجابية واضحة المعالم ، بينما القسوة سلبية وأهدافها سلبية أيضاً فالأب الحازم يرغب في تحقيق أشياء بعينها من وراء حزمه مع أولاده ، وحتى إذا طلب الأب الحازم من ابنه الامتناع عن نوع مُعين من التصرفات ، فإن امتناعه عن إتيان تلك التصرفات ينتهي بالأبناء إلى بناء جانب مُهم من شخصياتهم . أمّا الأب القاسي فإنه بقسوته يعمل على هدم جوانب جوهرية من شخصيات أبنائه وبناته .
 - 5 - الحزم يكون مشفوعاً بالحب الصادق والمتبصر من جانب الأب ، بينما تكون القسوة مشفوعة بمجموعة من الانفعالات والأحقاد .
 - 6 - الحزم يعرف الحدود التي يصل إليها ، والحدود التي يقف عندها ، أمّا القسوة فإنها لا تعرف لنفسها حدوداً . فالأب الحازم لا يستخدم حزمه إلا بقدر ، إذ أنه يُريد أن يذهب بأبنائه إلى شاطئ النجاة وتحقيق صحة نفسية سوية لهم .
 - 7 - الحزم يُساعد الأبناء على الاستقلال التدريجي ، بينما لا تُحقق القسوة إلا العبودية وفقدان الإحساس بالمسئولية وامتناع تبلور الشخصية .
 - 8 - الحزم يعرف أكثر من طريقة لتعديل السلوك ، بينما لا تعرف القسوة طريقاً لتحقيق ذلك إلا القهر وقمع ما ينم على الخروج عن الخط المرسوم من جانب الأب .

9 - الحزم يُساعد الأبناء على تحقيق قدر أكبر من التكيف للحياة ، بينما تجعل القسوة الأبناء غريباء عن المجتمع بلا أدنى تكيف مع الحياة الاجتماعية .

10 - الحزم ينال استحسان الناس سواء بالأسرة أم خارجها ، بينما تنال القسوة السخط والاحتقار من جميع معارف الأب المتصف بالقسوة . وطبيعي أن يحظى الأب الحازم بإعجاب وحب أبنائه وتقديرهم ، بينما يسخط أبناء الأب القاسي عليه جراء شدته وقسوته غير المبررة عليهم .

• سابقاً : اتجاه إثارة الألم النفسي :

ماهيته :

اتجاه إثارة الألم النفسي Attitude Of Rising Psychological Pain يتمثل في جميع الأساليب التي تعتمد على إثارة الألم النفسي ، وقد يكون ذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكاً غير مرغوب فيه ، أو كلما عبّر عن رغبة مُحرمّة . كما قد يكون ذلك أيضاً عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه أيّاً كان المستوى الذي يصل إليه في سلوكه أو أرائه ، فبعض الآباء أو الأمهات يبحثون عن أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات نقدية هدّامة لسلوكه ، ممّا يُفقده ثقته بنفسه ، ويجعله متردّداً في أي عمل يُقدّم عليه خوفاً من حرمانه من رضا الكبار وحبّهم له . مع علم غالبية الكبار بأن فترة الطفولة هي فترة التعليم وبالتالي هي فترة المحاولة والخطأ التي لا يجب أن يُنتقد فيها الطفل ، إلا إذا تكررت الأخطاء ، وحتى في هذه الحالة يجب أن يحدث التوجيه برفق وحنان ، وليس في صورة تأنيب نفسي عنيف يفقد الطفل ثقته في نفسه وفي قدراته ، ويُشعره بالخجل .

أمثلة لما يحدث في إتباع هذا الأسلوب :

○ الأب الذي يؤنب أطفاله باستمرار ، وفي كل مناسبة على الأخطاء أو الهفوات التي يرتكبونها عن قصد أو غير قصد ، هذا التأنيب المبالغ فيه والذي يصل مداه إلى أعماق الطفل فيجرح مشاعره أو يدمي أحاسيسه .

○ كذلك الأهل الذين ينهالون على الأطفال تجريحاً ومعايرةً ، فالطفل البيدين يلقي تقريعاً ، والطفل النحيف يواجه استخفافاً ، والطفل القصير ينال استهجاناً . وهاهم الآباء والأمهات والأصدقاء الذين لا يحلو لهم إلا أن يطلقوا ألقاباً تهكمية على أطفالهم تثير في نفس سامعيها من الأهل والأصدقاء الضحك والتندر ، بينما تُثير في نفوس

أطفالهم الآلام النفسية والأوجاع المعنوية ، فهذا أب يقول لطفله متهكماً " يا أبكم " إذا كان قليل الكلام ، أو " يا أرعن " إذا كان متعجل الخطى ، أو " يالثيم " إذا كان كتوم ، أو " يا أهبل " أو " يا عبيط " إذا كان طويل القامة أو طيب القلب ، أو " يافاشل " إذا كان مُتعتراً بعض الشيء فى تحصيله الدراسي .

○ وما هو طفل فى عُمر الزهور ينال تقريراً مؤلماً لأنه لا يملك وجهاً متناسق التقاطيع ، رقيق القسمات ، فيصفونه بأنه " بهى الطلعة " ، أو الطفلة الصغيرة التى لم تهبها الطبيعة جسداً متناسقاً رشيقاً ، فيصفونها بأنها " ست الحسن والجمال " ، هذه العبارات أو الألقاب التى تحمل فى ظاهرها " التثاء " ، بينما فى باطنها الحقيقة المرة من " هجاء " و " جفاء " إنما تهدم الصِّحة النفسية لمثل هؤلاء الأطفال هدماً يصعب الشفاء منه .

○ وهناك طفلةٌ تعيش مع زوج أمها فى عائلة ربيبة ، تلقى تأنيباً مستمراً على ما تأتية من سلوك قد لا يتفق والمعايير التى يُقرها زوج الأم ، بينما كانت مُعتادة أن تأتى به فى وجود أبيها وأمها عندما كانا يعيشان فى ظل أسرة متماسكة ، وربما تلقى نفس التأنيب من أمها التى تحاول إرضاء زوجها الجديد على حساب ابنتها المسكينة !!

○ وما هى طفلةٌ أخرى إذا ما حضرت زميلاتها إليها فى البيت ، تُصر زوجة أبيها على أن تجرحها بكلمات التوبيخ والسخرية ، وإذا ما أخطأت الطفلة أى خطأ حتى لو كان بسيطاً ، نتيجة لأن زوجة أبيها قد جعلتها تقوم بعمل فوق طاقتها عيرتها أمام صديقاتها ، وراحت تنهال سباً على أمها التى فشلت فى تربيته !!

إنها حقاً الأنياب التى تنهش صِّحة أطفالنا النفسية ، لنحصد فى النهاية طفلة مٌحطمة ومشوهة .

الأثار السلبية لاتجاه إثارة الألم النفسى :

غالبًا ما يترتب على هذا الاتجاه نتاج شخصيات انسحابية منطقية غير واثقة من نفسها ، توجه عدوانها نحو ذاتها ، فى المدرسة مثلاً إذا تم سؤال مثل هذه الشخصية من المُعلم سؤالاً مُعيَّناً فإنها تخاف من الإجابة عنه رُغم معرفتها الإجابة الصحيحة خوفاً من وقوعها فى الخطأ ، وبالتالي تُقابل بالسخرية والاستهزاء ، لأنها قد تعودت عدم الثقة فى قدراتها وذلك جراء عدم إحساسها بالأمان من الكبار ، آباء أم مُعلمين .

وهذه الشخصية التي تُعاني إثارة الألم النفسى غالباً ما تتوقع أن الأنظار تترصدها وتطاردها لأنَّ بها شيئاً غير عادي سواء في ملبسها أو مظهرها أو هيئتها أو سلوكها .. إلخ، فهي تشك في الآخرين ممن حولها، وترتاب في البيئة المحيطة بها .

وعندما تكبر مثل هذه الشخصية فغالباً ما نجدتها بعد أن تُتجز أعمالها فإنها تقوم بعرضها على زملائها وزميلاتها قبل أن تعرض هذه الأعمال على رئيسها أو مديرها ، لأنها لا تبغي الوقوع في أية أخطاء ، فالشك ما يزال منذ كانت طفلاً أو طفلة حيث لم يتم منحها الثقة في نفس قتل .

وهي شخصية كثيراً ما نراها تتوتر وترتبك عندما يُخاطبها رئيسها في العمل، أو أي شخص كبير لا تعرفه ، وإذا حاولت التغلب على انطوائها وبالتالي انسحابها من البيئة المحيطة فإنها قد تتعرض للأخطاء ، وتنفجر في بكاء عميق من جراء ذلك .

وقلما نجد مثل هذه الشخصية تفتخر وتتباهى بما تُتجزه من أعمال ، بل غالباً ما تتباهى بالآخرين من أقاربها أو أصدقائها الذين تتمنى أن يكون لها قدراتهم ، حيث إن أسلوب تنشئتها الخاطئ قد حرّمها من استغلال وتوظيف قدراتها وإمكاناتها الخاصة بها، ولذلك قد نجدتها تتباهى بإخوتها أو زوجها .. إلخ المهم ليس بذاتها !!

هذا ويؤثر العقاب المعنوي / النفسي بالاستهزاء والسخرية والنهك والتقريع في ترسيب العُقد النفسية في وجدان الطفل ، والعُقد النفسية Complex هي فكرة أو مجموعة من الأفكار المركبة والمتراصة ، تسرى فيها شحنة عاطفية، وقد تعرضت للكبت الجزئي أو الكلي ، فغدت مصدراً للتنازع والتصارع مع أفكار تحظى بالقبول - تقريباً - من جانب المرء .

وهي المبعث على تصرفات لا واعية تصدر عن الشخص ، أو هي اتجاه انفعالي لا شعوري لا يبرح يؤثّر في التفكير والسلوك ، والعُقد النفسية تجد لها منفذاً تعبّر عن نفسها من خلال عملية الإسقاط .

وهناك أمراض نفسية عديدة تُصيب الأطفال الذين يتعرضون لإثارة الألم النفسى كالقلق Anxiety الذي يُعتبر عدم ارتياح نفسي وجسمي ، ويتميز بخوف منتشر وشعور بانعدام الأمن ، وترى العاملة "كارين هورني" أن الطفل الذي يشعر بالقسوة أو التأييب أو مشاعر من الكراهية تُحيط به ، يفقد قدرته على أن يتوجه للآخرين .. إنه يخاف من

فقدان الحُبّ فيشعر بالقلق . وتؤكد "هورنى" أنّ تعرّض الطفل للاعتداءات الدائمة من والديه ، وافتقاره لجوّ التفاهم داخل البيت يُصيبه بالقلق الشديد ، فبدلاً من أن يشعر بالأمان الذى يحتاج إليه ، يشعر بخيبة الأمل وبعدم الأمان .

وقد يُصاب الطفل بالهستيريا Hysteria وهى اضطراب نفسي المنشأ ، وللمرض أعراض نفسية وجسمية منها : الشعور الدائم بالتوتر ، والمتفجرات الانفعالية من بكاء وصراخ . وتحدث الهستيريا نتيجة إحباط الطفل وإحساسه بخيبة الأمل والغيرة والحرمان وإثارة الألم النفسي .

كذلك الإصابة بالوسواس القهري ، حيث يؤكّد العلماء أن ظهور هذا المرض يرتبط بشكل عام بالحرمان من الحُبّ ومن العاطفة ومن التقبّل خاصة فى السنوات المبكرة من العمر ، كما تتضح قيمة التأثيرات الوالدية فى تكوين الأعراض القهرية لدى الطفل .

أهم الحلول المقترحة :

○ نحن نُحذر من اتجاهات الآباء والأمهات التى توجه نحو تأنيب أبنائهم على كل خطأ يرتكبونه ، وإبراز نواحي قصورهم أمام زملائهم ، فإن هذا يثبط همّتهم ، ويجعلهم غير قادرين على التفوق ، فالطفل الذى يوصم دائماً بالفشل يتوارى ويخبو تدريجياً ، ولا يستطيع أن يقف ليشارك فى رأى أو يتحمّل مسؤولية ، ولذلك فلا بد من توجيه سليم يحفظ لكل طفل احترامه والاعتراف به .

○ لا بدّ من إشباع الحاجات النفسية للأطفال كالأمن ، وهى حاجة نفسية ضرورية ، كذلك إحساس الطفل بالتواد ، أو إحساسه بأنه محبوب من الآخرين ، وأن لديه القدرة على الحُبّ ، كذلك الإحساس بأنّ لديه القدرة على الإنجاز ويتمثّل فى نجاحه فى الأعمال التى يقوم بها . كما أن الطفل فى حاجة إلى الشعور بالتقدير والحرية والانتماء ، فإذا أحس الطفل بأن كل هذه الحاجات مشبعة لديه ، فإن هذا يُعدّ بمثابة أحد المؤشرات المهمة لتوافقه ، ويحدث العكس إذا ما أحس بأن حاجاته غير مشبعة ، وبالتالي مُحبطة .

○ الحُبّ الذى يمنحه الأبوان لطفلهما يُعدّ فى حياة الطفل غذاءً ضرورياً فى نموّه النفسي، وهذا الغذاء لا يقل أهمية عن غذائه الجسدي ، وإن إشباع حاجاته الطفولية الأولى يُساعده على التقدّم إلى مراحل النموّ المستقبلية ، وعلى العكس فإن الحرمان

من الإشباع يُنمى لدى الطفل شعوراً بعدم الأمان ، ممّا يُساعد على نموّ الشعور العدائي للعالم من حوله ، بل ويستجيب استجابات مَرَضِيَّة تتخذ صوراً مُتعددة ، إمّا بالانسحاب عن العالم والسلبية ، وإمّا بالعنف والعدوان .

ولا يخفى أنّ نسبة كبيرة من الأطفال الجانحين ينتمون إلى أُسرٍ يشعرون فيها بالإهمال وبعدم الرّغبة فى وجودهم ، وتجريحهم ، فالأطفال بحاجة إلى أن يشعروا بالأمان الذى ينتج عنه الشعور بالانتماء والقبول والحب ، فإذا كانت هذه النواحي معدومة أو غير كافية فإنّه يكون من الصعب أن يُصبح الطفل ناضجاً ، حسن التكيف من الناحية الوجدانية .

○ لا بدّ أن تلتف قلوب أفراد الأسرة حول الطفل - وبخاصّة الأب والأم - تُقدّم له الحبّ غير المشروط ، والعطف ، والمودة ، قلوب تتعلّق به ولا تستغنى عنه وتسعى لإسعاده ، لا يجرّمونه من إقامة علاقات مفيدة مع أقرانه ، يشجعونه على الحرية والمرح والانطلاق.

